أضواء على واقعة اردهال في عصر الإمام الصادق عليه السلام

حسين حسينيان مقدم
أستاذ مُشارك في المعهد العالي للحوزة والجامعة، قم، ايران
Moghadam@rihu.ac.ir.

الملخص:

حصلت في عصر الإمام الصادق عليه السلام انتفاضات شيعية متعددة ذات توجّهات متميّزة عن بعضها الآخر. واستناداً الى ما جاء في بعض مصادر القرون الوسيطة، كانت واقعة اردهال بقيادة أخيه، على بن محمّد الباقر عليه السلام، وأنها قد حصلت في سياق وعلى غِرار ثورة كربلاء. منذ القِدَم كان تقصّي حياة وسِيَر أبناء وذراري الأئمة المعصومين عليهم السلام ومراقدهم، موضع اهتمام علماء الأنساب، والمؤرخين، وأصحاب المَقاتل، والجغرافيين. وتتكشف لنا عند سبر أغوار وثنايا ما كتبوه، صفحات وطيّات خفيّة من تاريخ التشيّع، وخاصّة في البِقاع والمناطق التي تضمّ أضرحتهم ومراقدهم الشريفة. وانطلاقاً من ذلك فقد كانت على الدوام موضع بحث من زاويتين؛ تاريخية وحضارية. لقد مرّت سيرة حياة على ابن الإمام الباقر عليه السلام، المدفون في اردهال، بثلاث مراحل تاريخية، وهي: الصمت، والايجاز، والتفصيل. ثمّ في الختام تحوّلت تلك المنطقة في الثقافة الشيعية الى مُنطلقٍ لأدب مَلحَمي وحماسي تكتنفه الكثير من الحوادث التفصيلية التي يندر مثيلها، بل هي في بعض مواقفها مما لا نَجدُ له مثيلاً أبداً. ينطلق بحثنا هذا من افتراض عدم وجود معلومات حول تاريخ حياة هذه الشخصية الى القرون الأخيرة، مستنداً الى الاسلوب الوصفي والتحليلي، مع الاستعانة بمبحث الألفاظ واستخداماتها في النطاق الزماني للموضوع، والتعويل على الحدس التاريخي في حالة عدم توفّر الأخبار، وتصفّح التيارات الفكرية لمدينة كاشان، لدراسة أخبار وواقعة اردهال. يتناول هذا البحث من خلال الاستناد الى مصادر تاريخية قديمة، والى نصوص تعود الى القرون الوسيطة، والى كتابات معاصرة، تسليط الضوء على جوانب ثلاثة، هي: حياته، ومرقده، والوقائع التي عاشها، مع الأخذ بنظر الاعتبار ثلاثة احتمالات مختلفة لمقاربة الواقع المحتمل، والكشف عن أن هذه القضية قد واجهت في القرن

السادس - ولأسباب مجهولة - منعطفاً، ثم واصلت مسارها التكاملي حتى عصرنا الحالي.

الألفاظ المفتاحية: المَقاتل، كتابة التاريخ، دراسة المزارات، تاريخ التشيّع، تاريخ كاشان، مشهد اردهال، على ابن الإمام محمّد الباقر عليه السلام.

المقدّمة:

ظهرت عملية تدوين الوقائع في أجواء الحضارة الإسلامية كفرع من كتابة التاريخ، وحظيت باهتمام أكثر لدى الشيعة بسبب الظلم الذي وقع على أهل البيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وسعوا الى تصوير تفاصيل ما جرى علىهم من وقائع دامية. وعلى هذا المنوال نشأت عملية تدوين المقاتل، واتّسعت وتطوّرت على مرّ التاريخ بتوجّهات ودوافع شتّى. تتناول عملية تدوين المَقاتل أو كتابة المَقاتل أبرز الوقائع والتحدّيات الدامية التي وقعت في اطار المجتمع الإسلامي وتدور أحداثها عادة حول محور شخصيّة واحدة أو عدّة شخصيّات أو أحياناً أُسرة واحدة. وهكذا فإنّ مجاله الموضوعي ينصبّ على جانب أخصّ من كتابة السيرة[1]. وفي هذا المضمار تبرز كتابة مَقاتل اردهال في عصر الإمام الصادق عليه السلام كعملٍ جدير بالاهتمام. لم تذكر مصادر السيرة شيئاً عن حياة على ابن الإمام الباقر عليه السلام ولكن مدوّنات المقاتل كتبت عنه بالتفصيل في المصادر المتأخرة، بحيث أن سيرة حياته كانت حتّى قرون متأخرة، تنحصر في خبرين موجزين ومتناقضين؛ أحدهما يتحّدث عن وفاته في الطفولة، ويتحدّث الآخر عن زواج ابنته بالإمام الكاظم عليه السلام. هذه الندرة في الأخبار وتناقضها يدلّ على فقدان الأخبار والمعلومات عنه واختلاف آراء المؤرّخين، والنسّابين، وعلماء الرجال في القرون الاولى بشأن سيرته.

رغم أن مصادر متعددة كانت الى القرن الخامس تسعى الى تسليط الضوء على منطقة اردهار، غير أنها لم تذكر شيئاً عن مرقد على ولم تؤرّخ مقتله. أقدم وثيقة تتحدث عن ضريحه تعود الى القرن السادس، وأقدم مدوّنة تذكر مقتله تعود الى القرن العاشر أو الثاني عشر. بمواكبة الإنتشار المتزايد للتشيع في كاشان، حصلت تحولات غير معروفة خلال المدّة الزمنية من القرن الخامس ـ في الوقت الذي كان يعيش أبو نعيم ـ وحتى القرن السادس، حيث شيّد مجد الدين ضريح اردهار، وهو ما أدّى الى شيوع هذا المَعْلم باسم مزار على بن الإمام الباقر عليه السلام، وجعل من تشيّع كاشان أمراً متداولاً على الألسن. ومع ذلك، لم تكن

هناك معلومات أو أخبار عن مقتله خلال الحقبة الزمنية من القرن السادس الى القرن العاشر، أو الى القرن الثاني عشر حسب قول آخر، رغم أن مرقده قد غدا يومئذ مزاراً معروفاً بمزار السيّد على. وهذا مما يزيد من الصعوبات التي يواجهها مثل هذا التحقيق، خاصّة وأن الخبر المتأخر تكرر ذكره كثيراً حتى صار في عِداد الأخبار المشهور التي يتعذّر اخضاعها للنقد.

معظم الآثار المكتوبة المتوفرة حول هذا الموضوع، سواء كانت مستقلة أو جاءت ضمن موضوعات عامّة مثل تاريخ ايران، والتشيّع، وكاشان، هو تكرار لمدوّنة متأخرة عن مقتله ووصف للوضع الحالي لأردهار. كانت الثقة العامة، والمرجعية العلمية، وتقوى أهل تلك البلاد هي السبب الكامن وراء وثوق الآخرين، بحيث أصبح هذا الكتاب مصدراً للرواة اللاحقين. وقد دأب المؤرخون على وصف تلك الواقعة وتفاصيلها من غير تحليل لها وبدون التدقيق في جوانبها التاريخية، ولا ضرورة هنا لذكر هذه الآثار. تناول ميرشكرايي في (مشهد اردهال((دانشنامه كاشان))، ص٢) هذا البحث من زاوية تاريخية، إلا أنه نادراً ما نظر اليه بمنهج التحليل العلمي، بل اكتفى بنقل أقوال أو كلام الآخرين ووضعها تحت عنوان آراء الآخرين. وفي الوقت ذاته فإن حضور ودور القرى في مراسيم قالي‌شويان [= منظّفو السجّاد] المنبثقة من علاقاتهم في وقت وقوع الحادثة، وهو مما يدلّ على القبول العام للوضع الموجود. بعض المدوّنات والآثار مثل ((قالي‌شويان [= منظّفو السجّاد])) لكاتبه بلوكباشي، انطلق الى تبيين وتحليل مراسيم قالي‌شويان [= منظّفو السجّاد] برؤية تاريخية ليكشف عن ترابط الجذور في هذه المراسيم الإيرانية ـ الإسلامية للحادثة، وعدم تناول الأجواء السابقة على الحادثة. النمط الثالث مثل ((گنجينه آثار قم [= مكنز آثار قم])) للفيض القمي، و((كاشان در مسير تشيع [= كاشان على طريق التشيع])) لمؤلفه صادقي، حيث تناولا الموضوع بشكل اجمالي بمقاربة تاريخية أيضاً، ولكن في سياق أجواء عامّة.

وفي هذا المضمار، من المهمّ الالتفات الى ما كتبه الرحّالة الذين مرّوا بكاشان. فكتاب ((كاشان در گذار سياحان)) [= كاشان على طريق الرحّالة] يقع في ٥٧٦ صفحة، سرَدَ فيه أسماء ٦٥ من كتب الرحلات، أشار كلّ واحد منها الى كاشان بشكل مباشر أو غير مباشر، إلا أن أياً منها لم يذكر أية معلومات عن اردهال ولا عن المزار فيها. خاصّة وأن

أعداد الرحّالة كانت قليلة قبل العصر الصفوي، ولا تقدّم كتب الرحلات هذه معلومات عمّا قبل القرن السادس[٢].

ولهذا فإن الضرورة تقتضي اجراء دراسة منهجية مبنيّة على مصادر ومعرفة بالأجواء التاريخية لتلك الحقبة من أجل ايجاد مقاربة الى الواقع الخارجي الذي كان سائداً يومذاك، لكي يتسنّى من خلال الاستناد الى وصف وتحليل الأجواء السياسية والفكرية للمجتمع الشيعي في العقدين الأخيرين من عمر الدولة الاموية، لطرح الاستراتيجية التي اتّبعها أهل البيت عليهم السلام في مواجهة المخالفين، والتعرّف على نمط التفكير الذي كان لدى سادات كاشان في القرن الثاني ومسائل اخرى من هذا القبيل، لأجل تقصّي وكشف الزوايا الخفية للموضوع من أجل التوصّل الى مقاربة للواقع الخارجي لحادثة اردهار.

تجدر الإشارة الى أن كلمة اردهار قد تبدّلت في اللهجة المحلية الى اردهال، واشتهرت على الألسن على هذا النحو، ونحن في بحثنا هذا نستعمل الكلمة الأصلية، ما عدا حالات نقل الأقوال والإرجاعات.

سيرة علي وحياته:

قليلاً ما تختلف المصادر في ما يخصّ أولاد الإمام الباقر عليه السلام، حيث ذكرت أنه كان له أربعة أبناء وبنتين، وتتفق جميع هذه المصادر على أنه كان له ابن اسمه علي. المصادر التي تحدثت عن حياة الإمام الباقر عليه السلام وأولاده، لم تذكر شيئاً عن حياة علي. ولم تفلح الجهود التي بذلها الأفندي (م١١٣٠) في التوصل الى نتيجة في هذا المجال، حين أعلن أنّ ترجمته غير مذكورة في كتب رجال اصحابنا أصلا، بأن لم يتعرضوا له بمدحٍ أو قدحٍ. (الأفندي، رياض العلماء، ج٤، ص٢٧١). يفيد هذا التعبير أن المصادر الإسلامية الى القرن الثاني عشر، لزمت الصمت ولم تذكر شيئاً عن حياة علي. وفي الوقت ذاته، يمكن التنقيب بين ثنايا ما جاء في عدد من الأخبار الجانبية والإجمالية.

قدّم أبو الجارود أقدم وثيقة حول أُمّه؛ أي أُم علي، مبيّناً أنها كانت أم ولد وكانت تميل فكرياً الى الخوارج، وقد طلقها الإمام الباقر عليه السلام بسبب اصرارها على تلك المعتقدات. أما مالك بن اَعيَن فقد اكتفى بالقول في ما نقله بشأنها إن الإمام الباقر عليه السلام كانت له زوجة من

ثقيف، وقد طلّقها بسبب كرهها لأمير المؤمنين عليه السلام (أفكار الخوارج). وقد احتمل (الكليني، الكافي، ج٦، ص٤٧٧)، والزُبَيري (م٢٣٦) (نسب قريش، ص٦٣) أن يكون اسم هذه المرأة أم حكيم بنت اسيد الثقفي وحفيدة عُمَر بن الخطاب لإبنته. لا بدّ من الإشارة الى عدم استقامة وتناسب ما جاء في خبر أبي الجارود من أن زوجة الإمام عليه السلام كانت ثقفية من جهة، وأمّ على كانت أم ولد من جهة اخرى. وفضلاً عن ذلك فقد ذكر الفخر الرازي (الشجرة المباركة، ص٧٥) إنّ أُم حكيم الثقفية هي أُم ابراهيم الابن الآخر للإمام الباقر عليه السلام.

أقدمُ خبرٍ حول وفاة على نقله اليعقوبي (م٢٩٢) (تاريخ، ج٢، ص٣٢١) إن علىاً قد توفّي طفولته: ((على دَرَجَ صغيراً)). ومن بعده جاء أبو نصر البخاري (الذي كان يعيش في سنة٣٤١هـ) وكتب في (سر السلسلة العلوية، ص٣٣) إن الإمام الباقر عليه السلام كان له أربعة أبناء وبنتان، وقد (دَرَجوا كُلُّهم)، واستمرّ نسل الإمام الباقر عليه السلام عن طريق الإمام الصادق عليه السلام فقط. وقال بتكذيب من ادعوا استمرار ذريته عن غير هذا الطريق. وهذا الكلام يتطابق مع ما أخبر به اليعقوبي عن وفاة على في زمان حياة أبيه، ويعبّر عن موقفه المناهض للمدعين استمرار ذرية الإمام الباقر عليه السلام عن طريق أولاد آخرين في النصف الأوّل من القرن الرابع. كلمة ((دَرَجَ)) تدلّ على معنىً أوسع من الوفاة في زمان حياة الأب وعدم استمرار الذرية. وهذا المعنى يتماشى مع حياة الأولاد من بعد الإمام الباقر عليه السلام. والشاهد على ذلك هو ما جاء في (تهذيب الأنساب، ص١٤٧) للعُبَيدلي الذي أكّد استمرار نسل الإمام الباقر عليه السلام عن طريق الإمام الصادق عليه السلام فقط، من غير إشارة الى مصير حياة أولاده. وهذا الكلام يتّسق أيضاً مع قول الزبيري في (نسب قريش، ص٦٤ وراجع: العمري، المُجدي في أنساب الطالبيين، ص٩٤)، أن فاطمة بنت على بن محمّد الباقر عليه السلام وزوجة الإمام الكاظم عليه السلام. غير أن المصادر الاخرى لم تذكر فاطمة في عِداد زوجات الإمام الكاظم عليه السلام.

وقد بدّل ابن شهرآشوب في (المناقب، ج٣، ص٣٤٠) عبارة ((دَرَجُوا كُلُّهُمْ إِلَّا جعفر)) الى ((دَرَجُوا كُلُّهُمْ إِلَّا أولاد الصَّادق عليه السلام)). وبيّن أن ما أراده أبو نصر ليس وفاة الأولاد في زمن حياة الأب. والحقيقة هي أن ما جاء في أقوال الآخرين يؤيد صحّة هذا التغيير. وذكر ابن حزم في (الجمهرة، ص٩٥) من غير إشارة الى زمان وفاة أولاد الإمام الباقر عليه السلام ولداً لعبد الله اسمه حمزة، وأنه قد توفّي ولم يخلّف إبناً. وأخبر الفخر الرازي

(م٦٠٦) في (الشجرة المباركة، ص٧٥) عند الإشارة الى أن أُم على كانت أُمّ ولد، عن اتفاق آراء علماء الأنساب على أن ذرية الإمام الباقر عليه السلام استمرّت في الإمام الصادق عليه السلام فقط. وهذا القول ينسجم مع ما قاله المفيد في (الارشاد، ج٢، ص١٧٩) حين قال: كان الصادق جعفر بن محمّد بن على بن الحسين عليهم السلام من بين إخوته خليفة أبيه محمّد بن على عليه السلام ووصيه والقائم بالإمامة من بعده. وهذا يعني أن الاخوة ومنهم على كانوا أحياءً في بداية عصر الإمام الصادق عليه السلام.

وعدّ الطوسي أيضاً في (الرجال، ص٢٤١) علياً من أصحاب الإمام الصادق، وهذا مما يدل على أن حياته كانت في عصر الإمام الصادق عليه السلام، ومع هذا فلا رواية له عن الإمام الصادق عليه السلام، وليس هناك وثيقة أو سند تاريخي يؤيد أنه كان صحابياً للصادق. كتاب رجال الطوسي تكتنفه بعض الأخطاء حول توصيف بعض الأفراد بأنهم كانوا من الأصحاب. ولهذا السبب، في حالات الاختلاف، يرجح كتاب رجال النجاشي على كتاب رجال الطوسي. وفضلاً عن ذلك جاء في بعض نسخ رجال الطوسي أن على بن محمّد بن على بن الحسين بن جعفر بن محمّد عليه السلام)) عُدّ صحابي الإمام الصادق عليه السلام. ورغم أن حفيد الإمام عليه السلام لا يمكن أن يكون صحابياً له (الأفندي، رياض العلماء، ج٤، ص٢٧١ والخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٣، ص١٦٦)، ولكن وجود مثل هذا الشخص ورواج انتساب الأفراد الى الجدّ عند العرب، يمكن أن يكون قد حصل بسبب احتمال الخلط بين على بن محمّد الابن غير المباشر للإمام الباقر عليه السلام وبين ابنه المباشر على بن محمّد. وهو ما يجعل نسبة مرقد اردهار (اردهال) الى حفيد الإمام الصادق عليه السلام أكثر مقبولية.

جاء في نسخة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج١٤، ص٦٨)، أن على بن الإمام الباقر عليه السلام نُقل عنه خبر حول ايمان أبي طالب، لكن ((محمّد بن على)) صُحّف في هذه النسخة الى ((على بن محمّد))، وهو خطأ طبعاً. والدليل على ذلك هو أن الأميني (الغدير، ج٧، ص٣٨٠) قد استند الى قول ابن أبي الحديد، وكذلك المجلسي (بحار الأنوار، ج٣٥، ص١٥٧ وراجع: فخار بن معد، ايمان أبي طالب، ص٨٥) من غير استناد، نقلوا هذا الخبر عن محمّد بن على الباقر عليه السلام.

الملاحظة الاخرى هي أنه على الرغم مما ورد في المصادر القديمة، فإن أفراداً مثل

الأفندي وتبعاً له المرعشي النجفي، قالوا إن المدفون في محلّة الباغات باصفهان هو أحمد بن على، وأضافوا إن بعض سادات طالقان ينتسبون اليه. (الأفندي، رياض العلماء، ج٤، ص٢٧١؛ الحسيني الزرباطي، بغية الحائر في أولاد الإمام الباقر عليه السلام، ص٦). إن القول بهذا النسب أو ذاك ليس له سند يدعمه، والذين صرحوا بهذه الأقوال إنّما عبروا عما كان يجول في خواطر عامّة الناس في مجتمع عصرهم، وأُخذ بتقادم الزمن كسند تاريخي.

أقدم وثيقة وردت بخصوص المدفون باصفهان هو الخبر الذي نقله أبو نعيم (م٤٣٠) (ذكر أخبار اصبهان، ج١، ص٨٠) وقال فيه إن أحمد هو ابن عيسى بن زيد بن على عليه السلام. عيسى (م١٦٨) من الزيدية المتطرفين في الكوفة وكان يرى قتلَ كلّ من يخالف ذي النفس الزكية [من أل أبي طالب] وكان يقول: لمحمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكيه: ((من خالف بيعتك من آل أبي طالب فأمكني من ضرب عنقه)) (أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٩٨ و٢٦٧) وكما أنه هدد الإمام الصادق عليه السلام بكسر فكّه. (الكليني، الكافي، ج١، ص٣٦٣). وكان ابنه أحمد (م٢٤٧) أيضاً قد تعلّم في المدرسة الفقهية لأبي حنيفة، وكان ممن مدّوا جسور التواصل لربط الفقه الزيدي بالفقه الحنفي (راجع: الشهرستاني، وضوء النبي، ج١،ص٣٣٥). ووضع اسس علم الزيدية بتدوينه كتاب ((الأمالي))[٣]. (زيد بن على، المُسند، ص٢٢). ويبدو أنه في اعقاب غلبة تيار الإمامية في مناطق انتشار الزيدية، حصل تغيير لدى بعض اتباع المذهب الزيدي. إن ظاهرة تحوّل الزيدية الى الإمامية في مناطق انتشار الزيدية في جديرة بالدراسة في فرصة اخرى.

نبذة تاريخية عن مرقده

لم تذكر المصادر القديمة الى القرن السادس زمان وكيفية وفاة على بن الإمام الباقر عليه السلام وسنّه عند وفاته. والخبر الوحيد الذي يصرّح بدفنه في ارهار، رواية جاءت في المصادر المتأخّرة عن الإمام الصادق عليه السلام، وتتحدّث عن استشهاده، وأنّ زيارته تعدل زيارة الإمام الحُسين عليه السلام في كربلاء: ((مَنْ زارَ أخي سُلطان على بِأردهال كمَنْ زارَ جدّي سَيدَ الشُهداءِ بِكربلاء)). طبعاً لم يرد ثواب مثل هذه الزيارة في المصادر، ولم تكن كلمة سلطان متداولة في الأدبيات الروائية في عصر حضور الأئمة عليهم السلام لوصف الأئمة عليهم السلام وأبنائهم وذراريهم. كما أن عدم وجود هذا الخبر في آثار محدّثي العصر الصفوي مثل السيد هاشم البحراني

(م١١٠٧)، والمجلسي (م١١١١)، والشيخ عبد الله البحراني (م١١٣٠)، تقوّى الشكوك التي تحوم حولها. والخبر المذكور ربّما يكون مستقىً من رواية نقلها الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام، وجاء فيها: ((مَنْ زارَ واحِداً مِنّا كانَ كمَنْ زارَ الحُسَين عليه السلام)). وقد طبّق الإمام الهادي عليه السلام أيضاً محتوى هذا الخبر على زيارة عبد العظيم الحسني عليه السلام. (الصدوق، ثواب الاعمال، ص٩٨-٩٩) والظاهر أن رواية اردهار أُضيفت اليها من بعد العصر الصفوي بعض الألفاظ وأعيدت صياغتها لتسري على زيارة اردهار أيضاً.

وجاء في خبر عن الإمام الرضا عليه السلام أنه وصف اردهار بالمكان الحَسِن. وفقاً لهذه الرواية، سأل الإمام عليه السلام موسى بن خزرج القمي[٤]: أتعرف موضعاً يقال له: وراردهار؟ قلت: نعم، ولي فيه ضيعتان. فقال: ألزمه وتمسك به. ثم قال ثلاث مرات: نعم الموضع وراردهار.[٥] هذا الخبر له قيمته من حيث قدمه وإدراجه في التاريخ المحلي لقم، ولكنه جاء في سياق أخبار فضائل قم، ولم ترد فيه إشارة الى وجود مرقد على. القمي (تاريخ قم، ص١٩٧) وعلى الرغم مما جاء من أخبار متفاوتة عن قرية اردهار[٦] ولكنها لا تضمّ فصلاً حول من فيها من السادات ولم تصرّح أن علىاً من أولاد الإمام الباقر عليه السلام، وأن ذريّته لم تستمر عن طريقه، ولم تقدّم معلومات حول مرقد على في اردهار ولا حول مجيء موسى بن خزرج اليها. وهكذا يتبادر الى الأذهان سؤال وهو لماذا لم يتحدّث القمي ـ بصفته مؤرخاً محلياً يدوّن أوضاع ووقائع المنطقة ـ عن مرقد اردهار. وبالاضافة الى ذلك، لماذا لم يكن لموسى بن خزرج حضور مشهود في اردهار، على الرغم من التوصية المؤكدة للإمام عليه السلام، وعلى الرغم من وجود ضيعتين له هناك؟ ولماذا لم يشيّد مرقد على على غرار ما قام به من تشييد حرم السيدة المعصومة عليها السلام؟

هذه الأخبار بغض النظر عن سندها ومحتواها، تدلّ على وجود اهتمام بأردهار في القرون الاولى. ولكن لعلّ ذلك الاهتمام لم يأت بسبب وجود مرقد على، بل لأنّ اردهار واحدة من القرى الواحدة والعشرين التي كانت تتألف منها ولاية قم (القمي، تاريخ قم، ص٥٨ و١٠٠). ومن الطبيعي أن يهتم الرواة المحليون اردهار ويذكروا أخبارها في سياق بيانهم لفضائل قم. وهنالك طبعاً من هذه الأخبار ما لم يرد حتى في المصادر القديمة. نذكر من ذلك على سبيل المثال، الروايات التي تدعو الى الإلتجاء الى قم وما حواليها عند ظهور

الفتن: ((فعليكم بقم ونواحيها))، (المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٧، ص٢١٤-٢١٥) وقد نقل هذه الأخبار في مدح قم)، وأضاف اليها في ما بعد اردهار، من باب المثال. ويبدو أن اموراً مثل وفرة المياه والاراضي الزراعية الخصبة وذات المحاصيل الوفيرة والمداخيل الثّرة التي تتميز بها اردهار، وتفوق بها على القرى الاخرى، هي التي لفتت اليها أنظار الرواة. وقد جاء في خبرٍ غير قديم أن المحصول الزراعي لقرية رَهَق كان أيضاً من املاك إمام الزمان (عج) في منطقة اردهار. (المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٣، ص٢٣١). ما عرضه أبو نعيم في (ذكر أخبار اصبهان، ج١، ص٣١) يكشف أيضاً أن اردهار هي الأفضل من بين قرى المنطقة، ووصف من عجائبها جبلاً في قرية تُسمّى، وكان الناس يستشفون من ماء كان ينضح من ذلك الجبل، وقد ذكر اسم قرية قالهر في سياق كلامه حول اردهار. حاول أبو نعيم عرض معلومات عن كاشان، واردهار وما حولها، غير أنه لم يتطرق - مثلما هو الحال بالنسبة الى مؤلف تاريخ قم - الى وجود مرقد على بن الإمام الباقر عليه السلام، واقبال الناس على تلك المنطقة.

على الرغم من رغبة المصادر وسعيها لنشر المزيد من المعلومات حول اردهار والتعريف بها، إلا أنها الى القرن السادس لم تذكر شيئاً حول مرقد على. يبدو أنه خلال مدّة القرن الخامس التي كان يعيش فيها أبو نعيم، ووصف اردهار من غير ذكر هذا المرقد، والى القرن السادس حين بنى مجد الدين ضريح اردهار، قد وقعت تحولات مجهولة كانت سبباً في نسبته ذلك الضريح الى على بن الإمام الباقر عليه السلام، وهي تحولات لها صلة بانتشار التشيع في كاشان خلال تلك المدّة، وهي التي جعلت تشيع كاشان متداولاً على الألسن. أوّل خبر موجود عن مرقد على، جاء في ديوان أبي رضا الراوندي (الذي كان يعيش في ٥٧١) (راجع: ص٥٢، ١٢٧ و٢٤٥). وقد ذكر اردهار على أنها مدفن ومشهد على، مؤكّداً على أن مجد الدين بنى ضريح اردهار وأضاف اليه الكثير من الزينة والامكانيات الترفيهية؛ فكان ذلك مدعاة لترغيب الزائرين لارتياد ذلك الموضع والمكوث فيه.

ومع هذا، فإنّ أبي رضا ورغم ما كان له من اهتمام بعرض القضايا التاريخية لكاشان، لم يذكر شيئاً عن سبب قدوم هذا السيد الى كاشان، وكيفية دخوله الى المنطقة، وهل كان منتدباً من الإمام الباقر عليه السلام، وسبب ثورته، ودوافعها وأهدفها، وكيفية مواجهته للمخالفين والقتلة، وزمان وفاته، وما خلّفه من تأليفات وآثار روائية وثقافية. إنّ

مثل هذا الصمت في أشعار أبي رضا جعل من الصعب البتّ في ما يتعلق بتاريخ اردهار. وهذا ما دفع الفيض القمي (گنجينه آثار قم [= مكنز آثار قم]، ج٢، ص٥١-٥٦، ٦٥ و٧٦) الى نقد وتفنيد كلّ تلك الوقائع والأخبار، معتبراً الغاية من وراء ذلك ايجاد سند توثيقي لمراسيم قاليشويان [= منظّفو السجّاد].

ومن بعد أبي رضا، ينبغي أن نعرّج على ما جاء في كتاب (النقض، ص٢١٤ و٦٤٨) للقزويني الرازي (م٥٦٠)، الذي أثنى في سياق وصفه لتشيّع بعض مناطق ايران، على المدرسة المجدية في كاشان، والإمام أبي رضا الراوندي، وبناء مشهد (ضريح) على بن الباقر عليه السلام، واضاف إنّ من أخبر عن ذلك الضريح هو مجد الدين حيث أصبح موضع اهتمام الحكام، والوزراء، والملوك، وصار مزاراً لأهالي كاشان. كانت دوافع القزويني من وراء سرد هذه المعلومات هي بيان فضائل المدن الشيعية لأجل الاحتجاج والردّ على المخالفين؛ ولهذا فقد اكتفى بوصفٍ مختصرٍ لأوضاع تلك المدن في عصره، ولم يكن بصدد اجراء تحقيق حول القضايا التاريخية للمدن.

وعلى كلّ الأحوال فقد كان لأبي رضا ومنطقة راوند تأثير في نشر أخبار اردهار وجعلها موضع اهتمام أكثر. كان أبو رضا من العلويين الحسنيين من أحفاد جعفر بن الحسن المُثَنّى، ويبدو أنه قد سكن في تلك القرية، بسبب سكن السادات الحسنيين في راوند. السادات الحسنيون، كانوا من أوائل السادات الذين هاجروا الى كاشان، وكانوا من أتباع الفكر الزيدي. كان جعفر الجدّ الأعلى للسادات الجعفرية في راوند من الناشطين السياسيين من ذوي الاتجاه الزيدي، وقد سجنه المنصور هو واخوته. أحمد القتيل، وناصر الكبير، وناصر الصغير، وأبو الهول كانوا من الزيدية من ذرية عبيد الله الأمير حفيد جعفر، وهم الذين أداموا الفكر الزيدي في طبرستان. ومن بين ذلك كان سائر أحفاد عبيد الله وكذلك على باغر بن عبيد الله يسكنون في راوند بكاشان. (أبو نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص١٩-٢٠؛ العبيدلي، تهذيب الأنساب، ص٩٥ و١١٨؛ العمري، المجدي، ص٨٣؛ ابن عنَبة، عمدة الطالب، ص١٨٥).

السادات البطحاني، الشجري أو كركرة (كركورة) من أحفاد زيد الابن الآخر للإمام المجتبى عليه السلام[٧] وقسم آخر مثل باقر السمناني كانوا يقطنون في هذه المنطقة أيضاً. (كياء

الگيلاني، سراج الأنساب، ص٤٠ و٦٢) حياة أحفاد الحسن الأفطَس، ابن علي بن زين العابدين عليه السلام من السادات الحسينيين في كاشان (المصدر السابق، ص١٦٨) يساعد أيضاً على ما يدّعى من الاتجاه الزيدي للمنطقة؛ وذلك لأن الأفطس كان حامل لواء الزيدية في ثورة النفس الزكيّة وأشجع قادته (أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٩٠)، واتخذ موقفاً متحدياً للإمام الصادق عليه السلام وحمل عليه بشفرة يريد قتله. ووصفه الإمام عليه السلام بقاطع الرحم، وقاطع الرحم لا يشم رائحة الجنّة. (الكليني، الكافي، ج٧، ص٥٥). أولاد الافطس وأحفاده كانوا من الزيدية ومن الوجوه البارزة في الثورات الزيدية. (أبو نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٧٧-٧٩ وراجع: أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٩٧، ٣٢٧-٣٢٨، ٣٥٥، ٣٥٩ و٣٨١).

وعلى كل حال، كان عبيد الله الأمير، جدّ بعض السادات الحسنيين في كاشان قد سُمّي بالأمير لأنّ المأمون العباسي عيّنه والياً على الكوفة (العبيدلي، تهذيب الأنساب، ص٨٦) وفدك (العمري، المجدي، ص٨٤). وعلى بن عبيد الله لُقّب بباغر، لأنّه صارع باغر التركي الذي هو غلام المتوكل العباسي، فقهره العلوي فتعجب الناس منه، وسمى باسم ذلك التركي (ابن عنبة، عمدة الطالب، ص١٨٧). وانطلاقاً من ذلك لا يُستبعد أن يكون أولاد عبيد الله وأحفاده في كاشان من الزيدية، وقد نالوا بعض المناصب على اثر ائتلافهم مع العباسيين. للإطلاع على خلفيات هذا الائتلاف وتأثيره على العلاقات السياسية في العصر العباسي، راجع: (حسينيان مقدم وتوحيدي‌نيا، ائتلاف زيديان وعباسيان در عصر اول عباسي) [= ائتلاف الزيديين والعباسيين في العصر العباسي الأول].

وعلى هذا الأساس، وعلى العكس مما ذهب اليه صادقي في كتابه: (كاشان در مسير تشيع [= كاشان على طريق التشيع]، ص٦٨) يُحتمل أن تكون الأجواء الفكرية والسياسية لمعظم السادات الحسنيين في قد أُرسيت منذ البداية على أُسس الفكر الزيدي وتبلورت في بعض الحالات والمواقف في اتجاه يتماشى مع سياسة العباسيين. وفي هذا المجال كان أولاد زيد بن الحسن عليه السلام منذ بداية الأمر على خلاف مع أولاد الحسن المُثنّى، الابن الآخر للإمام الحسن عليه السلام ويلتقون مع العباسيين (أبو نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٢١). وفي هذه الحالة من المحتمل أن يكون تمرّد على باغر الحسني على العباسيين ومقتله في نزاع وقع

داخل اطار السلطة، أو بين السادات، قد مهّد الأرضية للإيرانيين المعارضين للسلطة العباسية لإظهار تلك الواقعة وكأنها نهضة مضادة لحكومة العرب، وربطوها بالمراسيم الايرانية التي تُقام في تلك المنطقة، بينما صوّرها شيعة كاشان وكأنها ثورة شيعية.

هذه العلاقة أو هذا النوع من التوظيف للواقعة، يُحتمل أن يكون قد أدّى على مرّ الزمان الى حصول تصحيف لاسم ((على باغر)) الى ((على بن الباقر))؛ خاصّة وأنه كانت هناك كنية مشتركة ولقب مشابه لكلا التسميتين (ابن ماكولا، الاكمال، ج١، ص١٧٠ وأبو رضا، ديوان، ص٥٢). وتضمّ المصادر كثيراً من حالات التصحيف في الاسم، واللقب، والكنية. لا سيما وأن المصادر القديمة ليس فيها لقب وكنية لعلى بن الإمام الباقر عليه السلام، ويُظنّ أن أبا رضا كان أول من استعار له كنية ولقب على باغر، حيث أطلقت علىه كنية أبي الحسن انطلاقاً من الثقافة العربية، ولُقّب بالطاهر والطيب انطلاقاً من الثقافة الدينية. أبو الحسن في الثقافة العربية كنية لمن يكون اسمه علىاً، وتطلق كلمة الشهيد في الثقافة الدينية للطيّب والمُطَهَّر الذي لا يحتاج الى غُسل.

يمكن أن يمثل دفن على باغر في اردهار دلالة على خلفية دينية وعلى ازدهار الفكر الزيدي في تلك المنطقة في المدّة الزمنية المذكورة. لعلّ ميل الزيديين الى أهل السُنّة أو بتعبير آخر، كونهم يمثلون حداً وسطاً بين الشيعة والسنّة، يمكن أن يبرر ما قاله النراقي في هذا الخصوص. فهو بصفته خبير محلي، يعتقد أن تقاليد قالي‌شويان [= منظّفو السجّاد] قبل العهد الصفوي، كان يعكس نوعاً من المواقف والممارسات المذهبية لشيعة كاشان وفين في مقابل المخالفين من أتباع المذهب السُنّي في المناطق المجاورة لأردهال. (النراقي، آثار تاريخي شهرستان‌هاي كاشان ونطنز، ص٣٠٢)، المستوفي (نزهة القلوب، ص٧٤) ذكر أيضاً تشيع كاشان، والأكثرية من أتباع المذهب السنّي في ولاياتها في العصر الايلخاني. وجود أسماء الخلفاء الأوائل على منارة المسجد الجامع في نوش‌آباد، بكاشان يؤكّد أيضاً أن ولايات كاشان كانت على المذهب السني.

إن اقتران المراسيم والتقاليد الايرانية التي تجري في احتفال مهرگان [= المهرجان] في اليوم السابع عشر، أو في الجمعة الثانية من شهر مهر [حسب التقويم الشمسي الايراني] من كلّ سنة، مع أيام زيارة هذا السيّد الجليل، استغلّها ووظّفها المعارضون لحكم العرب من

جهة، ومن جهة اخرى وصفها شيعة كاشان على أنها ثورة شيعية. وكذلك صرّح إمامت كاشاني (زندگي سلطان علي، ص٢٢) بهذه العلاقة وبيّن طبيعة هذا الاحتفال. قال بلوكباشي (قالي‌شويان [= منظّفو السجّاد]، ص٧٢-٧٣ و٧٣-٦٧) في تبيينه لهذه العلاقة إنّ بعض الممارسات، والمعتقدات، والتقاليد التي لا تتعارض مع القيم الإجتماعية أو الثقافة الإسلامية، تبدّلت تدريجياً من حيث الشكل والمحتوى، وامتزجت مع مكونات الثقافة الإسلامية، واكتَسَت طابعاً دينياً واستمرّ وجودها في مواكبة الممارسات والمعتقدات والآداب والتقاليد الدينية الجديدة. إنّ دراسة تاريخ التشيع في كاشان، يحظى بالأهمية انطلاقاً من مثل هذه المقاربة من أجل التوصل الى كشف الثنايا والزوايا الخفية من من تاريخ التحولات التي حصلت في هذه المنطقة.

في ضوء مثل هذه الخلفية سكن أبو رضا في راوند، واتفق مع مجد الدين أبي القاسم، عبيد الله بن الفضل بن محمود الكاشاني (م٥٣٥)[٨]، الذي كان من اسرة وزارة العهد السلجوقي، وكان يُعدّ في عداد الأثرياء المشاهير، والمُحسنين البارزين، وحسب قول النراقي (تاريخ اجتماعي كاشان، ص٥٦) إنه أقنع ابن اخته لبناء مشهد اردهار، وامتدحه باعتباره باني ضريح، وناصر للدين والايمان، وإنه قد نال بهذا العمل أفضل ذخرٍ لآخرته، وخصص ما يقارب نصف ديوانه لمدح مجد الدين واسرته (أبو رضا، ديوان، ص٢٠؛ ٥٢؛٨٢ ومقدمه ص كط). ومن بعد وفاته صلى على جنازته في ذلك الموضع نفسه. (إمامت، زندگي سلطان علي، ص٣١). كما أن المدرسة المَجدّية من انجازات مجد الدين، وتولى ادارتها أبو رضا. وهذا يدلّ على علاقة وتعاونٍ بين هذين الشخصين في المجال الثقافي في كاشان. المشاريع العمرانية، والاقتصادية، والثقافية التي انجزها مجد الدين أدت الى حصول ازدهار كاشان ثقافياً واقتصادياً؛ حتى أصبحت داره ـ حسب تعبير المحدّث الارموي ـ قبلة للآمال، وملتقى للأدباء ومطافاً للفضلاء، حتّى أنه نال لقب مهذب‌الدولة. (أبو رضا، ديوان، ص٢١٣ و٢٣٨).

على الرغم مما كان لأبي رضا من شهرة ودعم من سادات تلك المنطقة، ومن مجد الدين، وكانت له مدرسة متألّقة وهي مدرسة المجدية، وتلاميذ مثل ابن شهرآشوب، إلا أنه كان كثيراً ما يشكو أنه يعيش غريباً ومجهولاً ومنهوباً، مبيّناً سبب ذلك في ما يلي:

انّي بقاسان غريب حريب ... وليس ذا اَن ليس فيها قريب

بل هو من فقدان جنسي بها ... والفاقد الجنس غريب غريب

يبدو أن أبا رضا بنسبه الحسني وميوله الإمامية[٩] استطاع من خلال بناء ضريح على بن الإمام الباقر عليه السلام ومدرسه مجدية، أن ينشر الفكر الإمامي في كاشان، ويقلل من تأثير الحسنيين الزيدية الذين كانوا متحالفين مع العباسيين. لعله يمكن اعتبار ((حادثة أبي رضائي)) منعطفاً في التحولات الفكرية في كاشان، والقول إنه قام بدور مماثل لدور عبد العظيم الحسني في تلك المنطقة، ودمج الحسنيين مع الإمامية، وتحمل الكثير من المصاعب على هذا الطريق. وقد بيّن عماد الاصفهاني بالاجمال وبدون ذكر أمثلة، ما تحمّله أبو رضا في سَنة ٥٣٣ من مصاعب وآلام وأذى من أعدائه القريبين والبعيدين. هذا الخبر يتناسب مع تحدّيات الحسنيين، ويتناغم مع محتوى المنظوم والألفاظ التي استُخدمت فيه. وقد أشار علماء الإمامية أيضاً بتعابير راقية الى مكانة ودور أبي رضا في القضايا الفكرية والثقافية لكاشان. (راجع: عماد الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ج٩، ص٦٧ والمجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص٥٤).

ومع كلّ هذا، ومن بعد مضي قرن على بناء ضريح اردهار، لم تنعكس أخباره في مناطق شيعية مثل العراق، ولم يتمكن من احراز مكانته بين المؤرّخين. أخبر ابن النجار البغدادي (م٦٤٣) مؤلف كتابي ((ذيل تاريخ بغداد))، و((الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي)) عن قبر على في الجعفرية ببغداد - دون الإشارة الى وجود مرقد اردهار - ووصفه أنه كان في زمانه خربة ومسكناً للفقراء الذين لا مأوى لهم. (ابن الطقطقي، الاصيلي، ص١٤٧) وهذا الخبر - بغض النظر عن قبوله أو رفضه - يدلّ على أن شيعة العراق لم تكن لديهم دوافع لحفظ ذلك المرقد، ألى أن تلاشى وزال نهائياً. ولا زال سبب هذا الاهمال والتجاهل غير معروف، فهل يعود سبب ذلك الى أنه لم تكن لعلى مكانة عند شيعة العراق؟ أم أن أخبار ضريح اردهار كانت هي السبب في عدم اعتباره؟ ومع هذا ليس هنالك من خبر أو معلومات حول انعكاس مرقد اردهار بين شيعة العراق، ولا كلام ابن النجار يكشف عن وجود ردود على وجود مرقد اردهار.

هذا بالاضافة الى أن ابن الطقطقي (م٧٠٩) وتاج الدين بن زهرة الحسيني (الذي كان على قيد الحياة في ٧٥٣) من نقباء حلب (القُمّي، منتهى الآمال، ج٢، ص١٣٣٠؛ اسماعيل پاشا، هدية العارفين، ج٢، ص٢٢٧ الذي يرى أنه توفّي سَنة ٩٠٢) أقرّا وجود مرقد

ببغداد. وهذا الإقرار يدل على أن كلام أبي رضا لم يحظ باهتمام الشيعة والمؤرّخين وعلماء الأنساب العرب في العراق وحلب على مدى قرنين على الأقل، أو أنهم اتخذوا ازاءه موقفاً ونظروا الى انتساب اردهار وشيوع خبره على انها جاءت من محلية ايرانية.

الأخبار الموجودة لا تقدّم معلومات وافية عن ضريح على بن الإمام الباقر عليه السلام في اردهار، منذ ما بعد تشييده الى العصر الصفوي، سوى ما ذُكر من ترميم البقعة في عصر الشاه طهماسب (٩٣٠/٩٨٤)، باعتباره نائب صاحب الزمان. (إمامت، زندگي سلطان على، ص٣١). كانت هنالك متطلبات اقتضتها إقامة الدولة الصفوية الشيعية المستقلة، والتخلّص من مضايقات المخالفين ومواجهة الامبراطورية العثمانية، وأفضت الى إعمار وبناء المراقد الدينية. في تلك الحقبة كتب غياث الدين جمشيد الطوسي، في سَنة ٩٥١ في مخطوطة كتاب ((تبويب الأمالي))، ما يلي:

((في ذي القعدة من سنة ٥٢٩ للهجرة وُجدت على مقربة من قرية باركرز مدوّنة مكتوبة على جلد، جاء فيها: هنا قبر أحد أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو الحسن على بن محمّد بن على... أبي طالب. أُنجز عمل هذه القبّة بأمر الجار السيء، والعبد الآثم والآبق: طاهر بن محمّد بن حسين بن بهروز، بتاريخ شهر صفر سنة ١٤٥ للهجرة. وكُتب خلف هذا الجلد: (كل نفس ذائقه الموت) في ذلك التاريخ كان قد مرّ ما يقرب ثلاثين سنة على شهادته)). (راجع: محسني، نور باقر عليه السلام، ص١٠٤ وبلوكباشي، قالي‌شويان، ص٢٤).

وفقاً لهذا النصّ، فإنّ غياث الدين جمشيد الطوسي (هو شخص آخر غير غياث الدين جمشيد الكاشاني المتوفّى سَنة ٨٣٢)، لم يرَ ذلك الجلد، ولم يبيّن سنده اليه. كما أن المصادر السابقة لم تنقل خبراً في هذا الخصوص، ولا الكتب والآثار اللاحقة أخذت خبر غياث الدين على محمل الجدّ، كما لم يكن له انعكاس في مدوّنات التاريخ المحلي لتلك المنطقة، ولم يرد له ذكر في ما كتبه أصحاب التذكرات في القرن العاشر. ومما يستدعي النظر هنا هو أن غياث الدين قد رتّب أمالي الشيخ الصدوق في ثلاثة أبواب، وسمّاه ((تبويب الأمالي))، ولكن هذا الكتاب لم يُطبع حتى الآن. وتوجد منه مخطوطتان؛ احداهما في المكتبة الشخصية للسيد مهدي الروحاني، والاخرى في مكتبة إمام زاده محمّد هلال آران بالرقم ١٠٤. كما توجد أيضاً نسخة مصوّرة من هاتين المخطوطتين في مركز احياء الآثار

الاسلامية في قم، وتحمل الرقم ٩٨ و٢٤٨. وكاتب هذا البحث لم يعثر في هذه النسخ على الكلام المذكور أعلاه.

ومن جانب آخر، تعود أخبار بناء القِباب في العالم الإسلامي الى النصف الثاني من القرن الثالث، حيث ذكرت هذه الأخبار إن محمّد بن زيد الداعي، حاكم طبرستان الذي كان من أتباع المذهب الزيدي، بنى في سَنة ٢٨٠ قبّة على مرقد الإمام علي عليه السلام وفي سَنة ٢٨٣ بنى قبّة على مرقد الإمام الحُسين عليه السلام. ونسب آخرون بناء القباب على مرقَدَي الإمام علي عليه السلام والإمام الحُسين عليه السلام الى هارون. (راجع: محقق، نجف اشرف در ادوار زمان، ص٢٣-٣٥) والكليدار، تاريخ كربلاء وحاير الحسين عليه السلام، ص١٠٩-١٩٨). في حين يُستدلّ من الأخبار المتعلقة بكلمة ((قُبَّة)) واستعمالاتها أنها تُطلق على الخيمة الصغيرة والمدوّرة، وهو من بيوت العرب، ولا يُفهم منها معنى القِباب التي تُبنى على الأضرحة. (راجع: ابن الأثير، النهاية، ج٤، ص٣)[١٠]. ومن المحتمل أن كلمة قبّة قد أُطلقت في أوقات لاحقة، على القباب المعروفة حالياً بسبب شكلها الدائري. وتأكيداً لهذا المعنى نشير الى ما ذُكر من التوسيع المكرر لمرقد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث كانت المرّة الاولى التي بنيت عليه قبة كانت في عصر دولة المماليك البحرية في سَنة ٦٧٨، وكانت مربّعة في الأسفل، وأعلاها مثمّن الأضلاع. (ناجي، عمارة وتوسعة المسجد الشريف النبوي عبر التاريخ، ص٦٨-٧١)

أضواء على واقعة اردهار:

رغم أن المصادر القديمة لم تتحدث عن سيرة ومرقد على بن الإمام الباقر عليه السلام، إلا أن ما في أخبار الأدوار المتأخرة يحكي عن قيامه بثورة مصيرية، وشرحت تفاصيل وقائعها المتعددة وأحداثها مع ذكر أسماء أنصاره ومخالفيه. وفقاً لهذه الأخبار، فإن على دخل كاشان في سَنة ١١٣ منتدباً من الإمام الباقر عليه السلام، وبعد ثلاث سنوات من التبليغ استشهد في سَنة ١١٦ في حادثة مشابهة لواقعة كربلاء، وبعثوا رأسه الى الحاكم في دار الخلافة. ومن الطبيعي أن هذه الثورة الكبرى ينبغي أن تدخل في عِداد الثورات المصيرية في في تاريخ الإسلام والتشيّع، ولا بدّ أن تسردها المصادر الإسلامية، وكتب المقاتل والتواريخ المحلية. بينما لم تتحدث المصادر عن ثورته ومقتله، وبناءً على قول صادقي (كاشان در مسير تشيع [= كاشان على طريق التشيع]، ص٨٧ وراجع: ص١٢٢-١٢٤) إنه لم يثبت وجود أصل

التشيع في كاشان في النصف الأوّل من القرن الثاني.

إن تفاصيل ما ذُكر عن ثورة اردهار، لا بدّ وأن يكون قد دفع الحكومة الأموية الى تنظر بعين الريبة الى الأنصار والأتباع الآخرين للإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، وأن تتعامل بحزم مع المعتقدين بإمامة هؤلاء الأئمة عليهم السلام في مناطق مثل خراسان ونيشابور. هذا في حين أن الإمام عليه السلام لم تكن لديه قناعة بالمواجهة العسكرية في تلك الظروف، كما أن شيعته في يكونوا في مواجهة الحكومة آنذاك. نذكر من ذلك على سبيل المثال إنّ غالب النيشابوري (م١١٣) ومن كان على رأيه من الكوفيين كانوا يعتقدون بفكرة الإمامة في نيشابور (مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٠٤ – ٢٠٥) واجهوا أفكار العباسيين، وأعلنوا في مناظرة أُجريت بحضور مندوب عن محمّد بن على العباسي، إن الإمامة حقّ لمحمّد بن على الباقر عليه السلام. ومع ذلك فقد تحاشوا القيام بثورة عسكرية ضد الامويين، وهذا ما دفع الامويين الى مهادنتهم وعدم التعرض لهم. (الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٩–٥٠)

أقدم وثيقة تتحدث عن ثورة اردهار كتاب تذكرة سلطان على، وهو من تأليف شخص مجهول، وهو يسرد الأخبار دون ذكر سندها. كان الملا عبد الرسول المدني الكاشاني (م١٣٦٦هـ) هو أول من عثر على هذا الكتاب، فاعتمده وكتب له مقدمة موجزة ونشره في سَنة ١٣٢٤ هـ. قمري. وقد صرّح في المقدمة إن هذا الكتاب يعود تاريخ كتابته الى ما قبل مائة وثلاثين سنة (مدني، حضرت سلطان على، ص٢٢؛ إمامت، زندگاني سلطان على، ص٢٣)؛ أي في أوائل القرن الثاني عشر. وأخبر النراقي (تاريخ اجتماعي كاشان، ص٤٦) انه كانت لديه مخطوطة تعود الى سَنة ٩٣٣ هـ. وذكر افشين عاطفي إنه قد طبع ونشر هذا الكتاب على أساس مخطوطتين وبالتعويل على النسخة المطبوعة التي أصدرها الملا عبد الرسول المدني، وتاريخ كتابته يعود الى سَنة ٩٣٣ هـ. (كاتب مجهول، تذكرة سلطان على، ص٨) انه يختلف عن الخلفية التي ذكرها الملا عبد الرسول، بحدود ما يقارب القرنين ونصف القرن. إن عدم الإشارة الى نسخة سَنة ٩٣٣ في المصادر اللاحقة يدلّ على أن وثوق المدني بها أدى الى وثوق الآخرين بها، وهكذا غدت مصدراً للرواة اللاحقين الى يومنا هذا. وقام الرواة بوصف الحادثة بدون النظر الى خلفياتها وتحليلها تاريخياً.

القصص التي نُقلت في ملحمة اردهار تمثّل نوعاً من كتابة المَقاتل، التي تختلف في

ادبياتها في التدوين عن أدبيات الأدوار السابقة، وتتناغم وتتماسى مع كتابة المقاتل في العصرين: الصفوي والقاجاري. ومن أهم خصائص كتابة المقاتل في هذه الحقبة أنها تخلو من الرصانة العلمية، والدقّة الكافية، كما أنها تفتقر أيضاً الى المصادر المعتبرة، والقديمة، والتخصصية، حيث كان معظم كُتاب المقاتل يحرضون على كتابة نصوص تثير الشجن والأحزان لغرض قراءتها في مجالس العزاء لكي يُنال من ورائها ثواب البكاء والإبكاء. ولأجل الإطلاع على مزيدٍ من المعلومات عن دوافع كتابة المقاتل وأساليبها في هذه الدورة، راجع: جعفريان، منابع تاريخ اسلام، ص٢٧٢؛ و رنجبر، جريان شناسي تاريخي قرائتها ورويكردهاي عاشورا از صفويه تا مشروطه با تأكيد بر مقاتل، ص١٧٠ - ١٨٧.

هنالك شواهد اخرى تلقي بالمزيد من الشكوك على أصالة وصحّة مقتل اردهار، ويبدو أن المؤلف الذي لم يرد الكشف عن اسمه، وكان أديباً عارفاً بالملاحم الإيرانية ومطلعاً على كتب مقاتل صدر الإسلام وعاشوراء، حاول خلق قصّة ملحمية على بن الإمام الباقر عليه السلام، تقوم على العنصرين الإيراني والإسلامي، واقحامها في أدبيات أهالي المنطقة. ومن الشواهد على ذلك أنه:

- تركيز بداية ونهاية القصّة على عدد من المنامات؛ رؤيا عامر الفيني لطلب مبعوث، رؤيا الإمام الباقر عليه السلام لايفاد ولده، ورؤيا على في آخر أيام حياته، وعلمه بشهادته. (مدني، حضرت سلطان على، ص٢٤، ٢٦، ٣٦ و٤٤)
- المشاهير والشخصيات التي خلقت هذه الحادثة المشابهة لحادثة كربلاء، من غير المعروفين في تاريخ كاشان والعصر الاموي.
- علو منزلة عامر بن ناصر الفيني وتفوّقه على مقام الإمام الباقر عليه السلام وابنه على؛ فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عامر الفيني في هذه الرؤيا عن شهادة على والموضع الذي سيُستَشهد فيه، ولكن الإمام الباقر عليه السلام وولده لم يكن لهما علم بما ستؤول اليه الامور. (مدني، حضرت سلطان على، ص٢٤)
- الاستناد الى معجزات كثيرة، تفوق المعاجز التي حصلت في صدر الإسلام؛ مثل منازلة على مع العفاريت، واستخدامه سيف ذو الفقار لمحاربة العفاريت، وضرب العفاريت وتقسيمها الى نصفين وتحويلها الى أحجارٍ، وحضور الماء لغرض وضوئه،

وغير ذلك من الكرامات التي جاءت كلها في قصة قصيرة واحدة. (كاتب مجهول، تذكرة سلطان على، ص١٩؛ وراجع: مدني، حضرت سلطان على، ص٢٦، ٣٠) هذا في حين أن حيازة سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله أو إمام سابق، تدلّ في الثقافة الشيعية على الإمامة. من جانب آخر، فإنّ كُتّاب المناقب مثل ابن شهر آشوب (م٥٨٨)، تلميذ أبي رضا في كتاب مناقب آل أبي طالب، وكتّاب المعاجز مثل القطب الراوندي (م٥٧٣) في كتاب الخرائج والجرائح، والسيد هاشم البحراني (١١٠٧) في كتاب مدينة المعاجز، لم ينقلوا أي خبر عن هذه الكرامات، في حين أنهم بذلوا كلّ مساعيهم ولم يألوا جهداً في نقل مناقب، وكرامات، ومعجزات آل بيت الرسالة.

- استعمال تعابير فيها شرك وغير متداولة في عصر وسيرة الأئمة عليهم السلام للتعبير عن الأدب والاحترام؛ مثل أداء مراسيم العبودية ولوازم الخضوع والطاعة لخادم الإمام الباقر عليه السلام، أو تقبيل رِجلِ الإمام عليه السلام. (كاتب مجهول، تذكرة سلطان على، ص١٦؛ ومدني، حضرت سلطان على، ص٢٥).

- الكتب والرسائل المكررة التي بعثها على لأبيه وأخيه قبل شهادة الإمام الباقر عليه السلام، وكذلك كتاب الإمام الصادق عليه السلام لعلى لإعلامه بشهادة أبيه واستمرار وكالته؛ (مدني، حضرت سلطان على، ص٢٩)، بينما لم تذكر المصادر شيئاً من هذه الكتب والرسائل ولا أشارت الى محتواها. أحمدي الميانجي (م١٤٢١هـ) الذي استخرج مجموعة رسائل وكتب الأئمة عليهم السلام ونشرها في أربعة مجلدات تحت عنوان ((مكاتيب الائمة عليهم السلام))، لم يذكر شيئاً عن هذه الرسائل.

- اتّباع اسلوب أدبيات الكتابة الرائجة في العصر السلجوقي وما تلاه، واستخدام تعابير وألقاب السلطان والأمير لعلى ومحمود، من أولاد الإمام الباقر عليه السلام، وكلمة الخواجة لجلال الدين، وملك شاه، ونصير، وعبد السلام لأصدقاء على. (مدني، حضرت سلطان على، ص٣٢ و٣٦). أطلق الايرانيون في أدوار لاحقة لقب الخواجة ربيع، على ربيع بن خثيم (م٦١هـ) (الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٤٧٥). ورغم أن كلمة سلطان كانت شائعة الاستعمال في القرون الاولى وكانت تُطلق على الحاكم (الكليني، الكافي، ج١، ص٥٤٧)، غير أنها لم تُستخدم كلقبٍ

حتّى منتصف القرن الثاني. لُقبَ جعفر البرمكي (م١٨٧) بلقب السلطان، إلا أن كلمة السلطان في العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧) كانت شائعة كتسمية تسبق أسماء الأمراء والحكام، الى أن عُرف محمود الغزنوي (م٤٢١) الذي صار أول حاكم مستقل، بهذا اللقب. وقد أتّخذت هذه التسمية في العصر السلجوقي مفهوماً واستعمالاً خاصّاً. للإطلاع على مزيدٍ من المعلومات راجع: (الشيخ نوري وخسرو بيگي، خوارزمشاهيان وعنوان رسمي سلطان، مجلة العلوم الإنسانية الفصلية، جامعة الزهراء، ٢٠٠٦م، العدد ٥٩).

- انتساب أخ اسمه السلطان محمّد (محمود) لعلى، وكان قد هبّ مبعوثاً من قبل الإمام الصادق عليه السلام لنصرة علي، واستشهد في واقعة اردهار (كاتب مجهول، تذكرة سلطان علي، ص٢٠ ومدني، حضرت سلطان علي، ص٣١)، بينما لم تذكر المصادر مثل هذا الابن للإمام الباقر عليه السلام.

- وصيّته ببناء بقعة على القبر؛ (مدني، حضرت سلطان علي، ص٣٦). وهذا النوع من الوصيّة لا مكانة له في سيرة الأئمة عليهم السلام وأولادهم.

- استخدام مصطلحات مثل الشريعة المصطفوية، والطريقة المرتضوية، ربّما يدلّ على ميل المؤلف الى التصوف. (راجع: مدني، حضرت سلطان علي، ص٣٦).

- يبدو أن المؤلف حاول من خلال كتابته مقتلاً محلياً، واتّباعه لمنهج صوفيٍّ وتوظيف الأساطير الإيرانية، تصوير طبيعة العلاقات والوشائج السياسية ـ والثقافية في قرى كاشان في عصر تأليف الكتاب (وليس في زمان وقوع الحادثة). ولهذا فهو لم يولِ أهميّة كبيرة لدور كاشان وأهلها عند بيانه للتفاصيل الجزئية لواقعة اردهار. ومن ناحية اخرى هنالك ملاحظة تسترعي الانتباه في ما يخص الترابط بين قريتي راوند وفين، وهو أن انوشيروان بن خالد الفيني الكاشاني (م٥٣٣هـ) الذي كان من الوزراء العلماء للسلاجقة والمسترشد بالله العباسي[١١] في المدّة الزمنية لأبي رضا ومجد الدين، اهتم بعمران كاشان وبناء مراكز علمية، وصحية، وتجارية فيها (النراقي، تاريخ اجتماعي كاشان، ص٥٩)، غير أن أبا رضا لم يذكره. ولعل سبب ذلك يعود الى أنه اعتبر تدريسه لمسند أحمد، دلالة على ميله الى أهل السُنّة. بينما رجّح آخرون

أنه كان إمامياً والدليل على ذلك هو دفنه الى جوار ضريح أمير المؤمنين عليه السلام. (صادقي، كاشان در مسير تشيع [= كاشان على طريق التشيع]، ص١٣٩).

- في هذه القصّة يبدو أنه كانت هناك غاية مقصودة من وراء الامتناع عن تسليط الضوء على النشاطات السياسية والثقافية للسلطان على، وجاء ذلك بما يتماشى مع توجهات المؤلف الذي اكتفى ببيان مواجهة الحكومة الاموي له. هذا في الوقت الذي لم يرد فيه أي خبر حول نشاطه السياسي أو دوره المناهض للسلطة. وقد امتنع المعتقدون بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً عن أي نشاط سياسي وعسكري. ومما تجدر الإشارة اليه أنه طيلة مدّة وكالته عن الإمام في هذه المنطقة لم يظهر أي أثر لنشاط ثقافي قام به السلطان على والسلطان محمود هناك؛ كنقل روايةٍ أو بيان حكمٍ.
- أراد المؤلف من خلال الاقتباس من الأساطير الايرانية، والاستفادة من المقاتل المحرّفة حول عاشوراء، أن يرسم بنظرة ملحمية وعاطفية، عاشوراء اخرى في اردهار، محاولاً إضفاء قدسية علىها عن طريق الإتيان بروايات مجهولة في ثواب زيارة اردهار، وجعلها تعدل زيارة الإمام الحُسين عليه السلام. إن الربط بين الهوية الوطنية والدينية في مراسيم تخليد ذكرى على بن الإمام الباقر عليه السلام في النصف من شهر مهر (= السابع من تشرين الأوّل) من كلّ عام قد يكشف عن الترابط المحتمل مع الدوافع المقصودة من وراء تدوين كتاب ((تذكرة سلطان على)). وربّما يكون الكتاب المذكور هو المصدر والمنطلق الأساسي لهذه المراسيم.
- تشابه الأدوار الايجابية والسلبية لواقعتي كربلاء واردهار، مؤشّر آخر على اختلاق قصّة. (أنظر أوجه الشبه في: بلوكباشي، قالي‌شويان، ص٩١). فهذا التشابه يمتدّ الى أبعد المديات بحيث يصوّر رأس على ابن الإمام الباقر عليه السلام قد قُطع مثل جدّه الإمام الحُسين عليه السلام، وأُرسل الى دار الخلافة، ومن ثم أُلحق في ما بعد ببدنه، وقد دُفن في گيلان كما جاء في خبرٍ، وأضاف أن موضع دفن الرأس كان معروفاً في گيلان الى سَنة ٩٣٣ (سَنة تأليف الكتاب) بـ ((مشهدسر)) (= أي مشهد الرأس). (كاتب مجهول، تذكرة سلطان على، ص٣٥-٣٦؛ مع اختلاف ضئيل في: مدني، حضرت سلطان على، ص٦٢؛ وراجع: بلوكباشي، قالي‌شويان، ص٧٧). ثم إنّ هذا

التشابه امتدّ الى مخالفي على أيضاً وقال: الى تلك السنة، كان لهيب النيران يرتفع من الحفرة التي أُلقيت فيها أجساد المخالفين!. (كاتب مجهول، تذكرة سلطان على، ص ٢٩؛ مع اختلاف ضئيل في: مدني، حضرت سلطان على، ص٦٨). وتحكي المسموعات أن عذاب المخالفين قد انتقل حتى الى نسلهم وذراريهم، وسكنة القرية التي لم تخرج لنصرة هذا السيّد أصبحوا يولدون بذيول قصيرة.

تجدر الإشارة الى أنه من بعد تدوين هذا الكتاب لم يكن هناك وجود لـ ((مشهدسر)) في گيلان، ولم يقع عذاب للمخالفين في اردهار، ولم يُنقل ما يشير الى أن هذا الكتاب كان في متناول أيدي الناس في عصر تدوينه. كما أن الدراسات لا تشير الى وجود موضع اسمه ((مشهدسر)) في گيلان. نعم كانت بابلسر التي تقع حالياً في محافظة مازندران الى ما قبل سَنة ١٣١٦ تُسمّى ((مشهدسر)). ويعود سبب هذه التسمية كما قيل، الى دفن رأس ابراهيم ابن الإمام الكاظم عليه السلام المعروف بابراهيم أبو الجواب فيها. وبناءً على قول آخر أن تسمية ((مشهدسر)) تلفظ مغلوط لكلمة ((مئشه‌سار)) بمعنى الأجمة وهي الأرض الكثيفة الأشجار. (راجع: حاج سيد جوادي و...، دائرة المعارف تشيع، ج٢، ص٤٠٣). في العقود الأخيرة انتهت تدريجياً فكرة خلق أُناس ذوي ذيول، أو خلق فتيات من غير بكارة.

- النقل الشفوي لحكاية عدم دفن أكثر من مائة جسدٍ لشهداء اردهار وبقائها طريّة في توابيتها، الذي قد عزز الاعتقاد العمومي بصحتها. وحسب قول الفيض القمي إن هذه أجساد قتلى معركة راوند التي وقعت بين فتحعلى‌شاه وأخيه حسينقلي خان القاجاري في سَنة ١٢١٣هـ، وقد نُقلت بالتوابيت الى اردهار بأمر من فتح على شاه. (فيض القمي، گنجينه آثار قم [= مكنز آثار قم]، ج٢، ص٧٦). قول الفيض القمي جدير بالاهتمام من جهتين: احداهما العلاقة الأسرية مع رجال الدولة القاجارية والأخري فكرته التاريخية. خلفية علاقته الأسرية تصل الي على‌محمد، من شعراء عصر قاجار باسمه المستعار القرقي وبأصالته الخوانسارية. على‌محمد لحُسن صوته ورد بلاط فتحعلى شاه؛ ثمّ تولّي خدمة قبره في قم وبعدئذ استمر هذا المنصب في أسرته. العلاقة الواسعة بين هاتين الأسرتين أسفر أيضا عن علاقة زوجية بينهم، وتزوج على‌محمد الحكيم ببنت صاحبقران ميرزا (ابن فتحعلى شاه). (جان جرني

ومنصور صفت‌جل، قم در قحطي بزرگ [= قم في مجاعة كبيرة] ، ص١٩١) عباس الفيض من هذه الأسرة و ابن آية الله محمد الفيض القمي (المتوفي سنة ١٣٧٠هـ) من رجال الدين الكبار في عصر البهلوي، و من أحفاد علىاكبر الفيض من المؤلفين المشهورين. عباس الفيض مع رصيده في الآثار التاريخية من جدّه، وتعلّم العلوم الحوزوية من والده، خَلَق أكثر من عشرين أثرا تاريخيا وهذا يدلّ على فكرته التاريخية. (انصاري، اختران قم [= كواكب قم]، ص ٥٦٥-٥٦٦)

كان أبو رضا في القرن السادس هو أول من وصف ضريح على ابن الإمام الباقر عليه السلام بـ((المشهد)) و((مشهد صدق)). (أبو رضا، ديوان، ص٥٢، ٨٢ و١٢٧ وراجع: ص٢٤٥)، إلا أن استعمال كلمة مشهد في اللغة والمصادر الاخرى تُطلق على ما هو أشمل من موضع الشهادة، وتأتي بمعنى مكان حضور وتجمّع الناس، وفي المعنى مطلق القبر والمقبرة (الجوهري، صحاح اللغة، ج٢، ص٤٩٤؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٢١)، بل وتطلق حتى على محل الولادة أيضاً. فقد أُطلقت كلمة المشهد على مرقد عبد العظيم الحسني الذي وافاه أجله بشكل طبيعي، حيث يُسمّى ضريحه: مشهدِ عبد العظيم، وكذلك تُطلق على مقبرة أم سليمان حسب معتقدات الناس، تسمية مشهدِ اُم النبي عليه السلام (المستوفي، نزهة القلوب، ص٥٤، ١٧٣ و١٨٨) ومن حَرّان، يُسمّى موضع ولادة النبي ابراهيم عليه السلام مشهدِ ابراهيم الخليل عليه السلام (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٧ و لسترينج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٣٤). ومع كلّ هذا وذاك فإن كلمة مشهد أكثر ما تأتي في الوقت الحاضر بمعنى محل الشهادة؛ ولهذا يتحاشون اطلاق هذه الكلمة على ضريح عبد العظيم الحسني.

نظراً الى أن أبا رضا كان أديباً؛ لذلك لا يُستبعد أن يكون قد استعمل كلمة مشهد بمفهومها الأدبي واللغوي؛ أي موضع الاجتماع والتجمّع، سعياً منه الى تبديل اردهار الى مركز لاجتماع الإمامية وتوسيعها ونشرها في تلك المنطقة. خاصة وأن أبا رضا قد ربط في ديوانه أخبار تاريخ كاشان بمدائح رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وبالثناء على مجد الدين، لما قام به من بناء مرقد السيد على، إلا أنه لم يعرض شيئاً مما قيل في رثائه، ولا شيئاً عن تفاصيل وقائع اردهار، ولم يورد وصفاً لأنصار السلطان على من أهالي فين ونشلج، أو ذمّ أهالي قرية كره جار.

ليس من المعروف هل يدلّ فقدان هذه المجموعة من الأخبار في ديوان أبي رضا، على ضياع قسمٍ من أشعاره؟ أم يدلّ هلى أن قصّة اردهار كانت في منتصف القرن السادس تسير اولى خطواتها، ثمّ اكتملت في القرون اللاحقة؟ أجواء الإمامية التي كانت في هذه الحقبة تسير نحو الانتشار والتوسع تسترعي الاهتمام وتكشف عن حالات الأحاسيس والمشاعر التي طبعت بعض الأحداث والوقائع التي حصلت يومذاك. أحمد بن على بن بابه الكاشي (م٥١٠) مؤلف كتاب ((رأس مال النديم في التاريخ))، واسماعيل پاشا، هدية العارفين، ج١، ص٨٢، وله كتاب في موضوع فرق الشيعة، أخبر عن رسوم ومناسك بعض فلاحي كاشان ممن كانوا على المذهب العلوي، أنهم كانوا في صبيحة كل يوم يركبون الخيل وتوشّحون بالسلاح ويخرجون الى خارج المدينة وسيوفهم مسلولة في أيديهم في انتظار ظهور قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله، ويبقون على هذا الحال حتّى شروق الشمس. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٦).

وتعود خلفيات هذه المراسيم الى القرن الثالث. فقد كان عَبّاد بن يعقوب الرَواجني من الكوفيين، وكان له سيف أعدّه انتظاراً لقيام المهدي. (الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص١٦٠)[١٢]. وما قاله أبو بكر الراوندي، وكان من أهالي كاشان المُتعصّبين لمذهب أهل السنّة ومؤلف كتاب ((راحة الصدور))، يساعد على تبيين مثل هذه الأجواء التي كانت سائدة في كاشانِ في ذلك الوقت. وكان مما قاله في سياق ثنائه على فنّ الخطّ في كاشان وما كانت له من أصداء في العراق (الراوندي، راحة الصدور، ص٥١)، أنه ذمّ شيعة كاشان قائلاً إنّ ألفاً من الكاشانيين كانوا يُسمّون أنفسهم حُجاجاً، في حين أنهم بدلاً من الذهاب الى الكعبة، ذهبوا الى طوس، واعتبروا ثواب زيارة طوس (الإمام الرضا(عليه السلام)) يعدل سبعين ثواب حجّة مقبولة. (الراوندي، راحة الصدور، ص٣٩٤).

إن بناء هذا النوع من المراقد أو بيان تلك الوقائع التي تغلب علىها أجواء الأحاسيس والمشاعر، لم تكن مهمّة شاقّة، وتدوين كتب أدعية مثل ((أدعية السر)) من أجل قضاء الحاجات، و((النوادر)) تساعد أيضاً على معرفة الأجواء الفكرية لأبي رضا. قال المجلسي في (بحار الأنوار، ج١، ص٣١) عند وصفه لكتاب ((ضوء الشهاب في شرح الشهاب)) لأبي رضا: كتاب شريف مشتمل على فوائد جمة، خلت عنها كتب الخاصة والعامة.[١٣] هذا التعبير يكشف عن مدى قدرة التجديد التي كان يتصف بها أبو رضا في مسائل مختلفة،

ويدلّ على أن جهوده أدّت الى انتشار التشيع الإمامي في كاشان، حتى غدا في القرن السابع أمراً متداولاً على الألسن. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٦).

الأشعار التي نظمها شاه نعمت الله ولي تضع أمامنا احتمالاً ثالثاً وهو أن المزار الموجود في اردهار هو قبر السيد على، وجدّ الثاني عشر من أحفاد الإمام محمّد الباقر عليه السلام، ووفقاً لمبدأ انتساب الحفيد الى الجدّ، فقد عُرف باسم على بن محمّد الباقر عليه السلام.

كان ملك حياض العلم السيد على الكاشاني[١٤]

وفقاً للحساب الزمني لا بدّ أن يكون السيد على قد توفّي في منتصف القرن الخامس، وهو ما يتماشى مع صمت المصادر الى القرن السادس حول ضريح اردهال، غير أن المصادر ذكرت عدّة مناطق مختلفة باسم كاشان. (راجع: صادقي، كاشان در مسير تشيع [= كاشان على طريق التشيع]، ص٢٦-٣٥)، وليس من المعروف الى أي منها ينتسب السيد على. لم تذكر الوثائق التاريخية شيئاً عن موضع دفن السيد على أو حياته في كاشان. وهنالك شواهد كثيرة تدلّ على أن النسبة الى المكان لا تعني بالضرورة أن ذلك الشخص قد عاش في تلك المدينة. كما يبدو من المستبعد ايضاً أن يكون أبا رضا الراوندي قد خلط بين سيد على الكاشاني وعلى بن الباقر عليه السلام؛ وذلك لأن عالماً وخبيراً مثله، ومن غير فاصل زمني بينه وبين ((ملك حياض العلم))، لم ينقل بشأنه أي خبر، كما هو الحال بالنسبة الى التواريخ المحلية، ومنها تاريخ قم؛ فهي لم تُشر الى هذا الكوكب العلمي من سلالة السادات الحُسينيين في كاشان.

النتيجة

المصادر القديمة، والتواريخ المحلية، ومؤلفات المتقدمة التي كانت تحرص على توثيق ونقل أخبار على بن الإمام محمّد الباقر عليه السلام ومنطقة اردهار، لا تقدّم لنا معلومات وافية حول حياة على ابن الإمام الباقر عليه السلام، سوى ما ذكره اليعقوبي من أنه قد توفي في طفولته، وما قاله الزُبيري من أن ابنته هي زوجة الإمام الكاظم عليه السلام. وتتفق المصادر على أن ذرية الإمام الباقر عليه السلام لم تستمر فيه. ولم يرد في المصادر الى النصف الثاني من القرن السادس أي خبرٍ بشأنه. وقد كانت هناك تحولات غير معروفة وقعت في المدة ما بين القرن الخامس الى القرن السادس حيث بُني ضريح اردهار، وأدّت تلك التحولات الى انتساب ذلك الضريح الى على ابن الإمام الباقر عليه السلام. ومع ذلك فإن أخبار هذا القرن لا تكشف عن شيء آخر سوى عن بناء

المزار وما أضيف اليه من زينة وامكانات رفاهية. هنالك مدوّنة من القرن العاشر جاءت من غير اسم المؤلف ولا ذكر السند، وهي تتحدث عن سيرته بالتفصيل وتذكر جزئيات ودقائق حياته، وهي بمثابة نوع من كتابة المَقاتل باسلوب بطولي وملحمي. وقد جاءت تلك الأحداث والوقائع استناداً الى رؤيا وكرامات، واكتسبت في السنوات الأخيرة مسارها التكاملي، واكتست في ختام الأمر طابع الأدب الملحمي، وجاءت على غرار ما كانت عليه أدبيات كتابة المقاتل في العهدين الصفوي والقاجاري من فقدان الدقّة والمعايير التحقيقية.

إنّ دفن حفيد الإمام الصادق عليه السلام أو جدّ الشاه نعمت الله ولي حفيد الإمام الباقر عليه السلام في هذه المنطقة يمكن طرحه كرأي، ولكن مع احتمال دخول الشيعة الحسنيين من ذوي الاتجاه الزيدي الى كاشان وراوند، وصراعهم مع العباسيين وما رافق ذلك من بعض التوجهات القومية، وكذلك النزاعات الفكرية الشيعية الداخلية، كان لها تأثيرها في صياغة هذا الضريح باسم ((على باغر)) من فرع السادات الحسنيين، وخلطه تدريجياً مع اسم ((على بن الباقر عليه السلام)) من السادات الحسينيين من أهل البيت. إنّ ما انعكس في الأدوار اللاحقة من أخبار ثورة اردهار الدامية، ليس له سند يدعمه، وبالإضافة الى ذلك فهو يواجه الكثير من التحدّيات الداخلية، كما أنه لا يتماشى مع الجو السياسي والفكري الذي كان سائداً يومذاك، ولا مع المنهج الاستراتيجي لأهل البيت عليهم السلام ومواقف أنصارهم، فضلاً عما يواجهه من نفي من قِبَل علماء العرب.

هوامش البحث

(١). للإطلاع على مزيدٍ من المعلومات، راجع: حسينيان مقدم، سيرتكاملي مقتل‌نگاري، با تكيه بر مقتل‌نگاران اصحاب امامان معصوم عليهم السلام [= تكامل كتابة المَقاتل، استناداً الى كُتّاب المَقاتل من أصحاب الأئمة المعصومين عليهم السلام]، تاريخ فرهنگ و تمدن اسلامي [= تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية]، جامعة المعارف، سَنة ٢٠١٦م، العدد٢٣، ص٧٨-١١٠.

(٢). راجع: ساطع، محمود (٢٠١٠م)، كاشان در گذار سياحان [= كاشان على طريق الرحّالة]، مقدمة ايرج افشار، طهران، دعوت.

(٣) . أصدرت دار النفائس في بيروت كتاب أمالي احمد، في ثلاث مجلّدات في سَنة ١٤١٠ هـ. وتولّى مهمة تحقيقه علي بن اسماعيل الصنعاني.

(٤) . كان موسى بن خزرج كبير القميين، وهو مَن جاء بفاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام الى قم.

(٥) . القمي، تاريخ قم، ص٩٧.

(٦) . راجع: القمي، تاريخ قم، ص٥٨، ٩٧، ١٠٠، ١٣٤.

(٧) . بنت الإمام المجتبى عليه السلام والأُخت غير الشقيقة لزيد، زوجة عبد الله بن الزبير، وزيد لم يخرج بصحبة الإمام الحُسين عليه السلام الى كربلاء، بايع عبد الله بن الزبير، ثم التحق بعبد الملك بن مروان الاموي. والتحق ابنه الحسن بالعباسيين، كان أوّل علوي لبس السواد. صار عاملاً للمنصور وأعانه على أبناء عمّه الحسن المثنّى (راجع: أبو نصر البخاري، سرّ السلسة العلوية، ص٢١؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٦٩ والخوئي، معجم رجال الحديث، ج٥، ص٣٢٥ و ٣٥١).

(٨). أثنى أبو رضا، على شخص آخر اسمه مجد الدين، وهو محمد بن علي بن موسى، ولا تتوفر معلومات عن سيرته (أبو رضا، ديوان، ص٢٠).

(٩). نظم أبو رضا شعراً حول توجهه الإمامي في سياق ذكره لشجرة نسبه مع مدح الأئمة الإثني عشر، والاعتقاد بظهور القائم (عجل الله فرجه). راجع: منتجب الدين، الفهرست، ص١٥٣ وابن شهرآشوب، المناقب، ج١، ص٢٧٧.

(١٠). للإطلاع على استعمال كلمة القُبّة بمعنى الخيمة والغرفة، في العصور الثلاثة: النبوي، والعلوي، والخلافة، راجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٧١؛ و ج٢، ص١٢٢ و ١٣٦؛ ونصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص٢٦٨ و ٣٢٧ والصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٨.

(١١) . انوشروان له كتاب يحمل عنوان: ((نفثة المصدور في فتور زمان المصدور وصدور زمان الفتور)) باللغة الفارسية يتحدّث فيه عن سيرته وسيرة وزراء آخرين في العهد السلجوقي. راجع: السمعاني، الانساب، ج٤، ص٤٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص١١٤؛ خواندمير، دستور الوزراء، ج٢، ص٢١٠، والتتوي، تاريخ ألفي، ج٥، ص٣٠٠٣.

(١٢) . على فرض أن عَبّاد كان زيدياً (ابن طاووس، اليقين، ٤٦٢) وأنّ مراسيم الانتظار عند العلويين في كاشان كانت على شاكلة عمل عَبّاد، فإنّ ذلك يعزز الرأي بأن التشيّع في كاشان كان الى عصر أبي رضا، زيدي الإتجاه.

(١٣) . كتاب ((الشهاب)) أو ((شهاب الاخبار)) من تأليف القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي الشافعي (م٤٥٤)، يضمّ مجموعة من الأحاديث النبوية التي تشمل الحِكَم، والوصايا، والآداب، والمواعظ، والأمثال (راجع: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٠٦٧). وقد حظي هذا الكتاب باهتمام الشيعة وأهل السنّة، وجرى تلخيصه وشرحه عدّة مرّات.

(١٤) . فرزام، ... شاه نعمت الله ولي، ص١٩.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي الحديد، عبد الحميد (١٣٧٨هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، دار احياء الكتب العربية.
- ابن الأثير، على بن أبي الكرم (١٣٨٥هـ)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر.
- ابن الأثير، مبارك بن محمّد (١٩٨٥م.)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق، الزاوي والطناحي، قم، اسماعيليان.
- ابن حزم، على بن أحمد (١٤٠٣هـ)، جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن سعد، محمّد (بلا تاريخ نشر)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر.
- ابن شهرآشوب، محمّد بن على (١٣٧٦هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق مجموعة من الباحثين، النجف، المطبعة الحيدرية.
- ابن طاووس، على (١٤١٣هـ)، اليقين، تحقيق الأنصاري، قم، دار الكتاب.
- ابن الطقطقي، محمّد بن على الطباطبائي (١٩٩٧م)، الاصيلي في أنساب العلويين، قم: مكتبة المرعشي النجفي.
- ابن عِنَبة، أحمد بن على الحسيني (١٣٨٠هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق محمّد حسن آل الطالقاني، النجف، المطبعة الحيدرية.
- ابن فارس، أحمد (١٤٠٤هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، بيروت، مكتب الاِعلام الاسلامي.
- ابن ماكولا، على بن هبة الله (بلا تاريخ نشر)، الاِكمال في رفع الارتياب، بيروت، دار احياء التراث العربي.
- أبو رضا الراوندي، فضل الله بن ابراهيم (١٣٧٤هـ)، ديوان، تحقيق المحدث الارموي، (بلا مكان نشر، بلا اسم ناشر).
- أبو الفرج الاصفهاني، على بن الحسين (١٣٨٥هـ)، مقاتل الطالبيين، النجف، مقدمة كاظم المظفر، قم، دار الكتاب.
- أبو نصر البخاري (١٤١٣هـ)، سر السلسلة العلوية، تحقيق السيد محمّد صادق بحر العلوم، قم، منشورات الشريف الرضي.

- أبو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله (١٩٣٤م)، ذكر أخبار اصبهان، بريل-ليدن.
- اسماعيل پاشا البغدادي (١٣٣٩هـ)، هدية العارفين، بيروت، دار احياء التراث العربي.
- الأفندي الاصفهاني، عبد الله (١٤٠١ هـ)، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق السيد احمد الحسيني، قم، مكتبة المرعشي النجفي.
- إمامت، عزيز الله (بلا تاريخ نشر)، زندگاني سلطان علی [= حياة السلطان علی]، تحت اشراف عماد الدين الطبسي، (بلا مكان نشر، بلا اسم ناشر).
- الأمين، السيد محسن (بلا تاريخ نشر)، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف.
- الأميني، عبد الحسين (١٣٩٧هـ)، الغدير، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الأنصاري القمي، ناصر الدين (٢٠١٠م)، اختران قم [= كواكب قم]، قم، دليل ما.
- بلوكباشي، علی (٢٠٠٠م)، قالي‌شويان [= منظّفو السِجّاد]، طهران، دفتر پژوهشهاي فرهنگي.
- التتوي، القاضي أحمد (٢٠٠٣م)، تاريخ الفي، تحقيق غلام رضا الطباطبائي مجد، طهران، علمي وفرهنگي.
- جان جرني ومنصور صفت‌جل(١٣٩٢ش)، قم در قحطي بزرگ [= قم في مجاعة كبيرة]، قم، مكتبة المرعشي النجفي.
- جعفريان، رسول (٢٠٠٩م)، منابع تاريخ اسلام [= مصادر التاريخ الاسلامي]، قم، انصاريان.
- الجوهري، اسماعيل بن حماد (١٤٠٧هـ)، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، دار العلم للملايين.
- حاج سيد جوادي، أحمد؛ فاني، كامران وخرمشاهي، بهاء الدين (١٩٩٣م)، دائرة المعارف تشيع، طهران، سازمان دائرة المعارف تشيع.
- الحسيني الزرباطي، السيد حسين (١٤١٧هـ)، بغية الحائر في أولاد الإمام الباقر عليه السلام، قم، دار التفسير.
- حسينيان مقدم، حسين وتوحيدي‌نيا، روح الله (٢٠١٤م)، (= ائتلاف الزيديين والعباسيين في العصر العباسي الأول)، تاريخ اسلام، العدد ٥٩، ص١٣٥-١٥٨.
- حسينيان مقدم، حسين (٢٠١٦م)، سيرتكاملي مقتل‌نگاري با تكيه بر مقتل‌نگاران اصحاب امامان معصوم عليهم السلام ﴿= تكامل كتابة المَقاتل استناداً الى كُتّاب المقاتل من أصحاب الأئمة المعصومين عليهم السلام﴾، تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية، جامعة المعارف، العدد ٢٣، ص٧٨-١١٠.

- الخطيب البغدادي، أحمد بن على (١٤٠٥ هـ)، الكفاية في علم الرواية، تحقيق أحمد عمر هاشم، بيروت، دار الكتاب العربي.
- خواندمير، غياث الدين (بلا تاريخ نشر)، دستور الوزراء، تحقيق سعيد النفيسي، طهران، اقبال.
- الخوئي، أبو القاسم (١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث، تحقيق مجموعة من الباحثين، (بلا مكان نشر، بلا اسم ناشر).
- الراوندي، محمّد بن على بن سليمان القنوي الرومي (١٩٨٥م)، راحة الصدور وآية السرور، تحقيق محمّد اقبال ومجتبى مينوي، طهران، امير كبير.
- رنجبر، محسن (٢٠١٠م)، جريان شناسي تاريخي قرائتها ورويكردهاي عاشورا از صفويه تا مشروطه با تأكيد بر مقاتل [= رؤية تاريخية لتيارات قراءات واتجاهات عاشوراء من العهد الصفوي الى الثورة الدستورية؛ المقاتل أُنموذجاً]، قم، مؤسسة الإمام الخميني (ره).
- الزبيري، مصعب بن عبد الله (بلا تاريخ نشر)، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، (بي‌بلا مكان نشر)، دار المعارف.
- زيد بن على (بلا تاريخ نشر)، مسند، بيروت، دار مكتبة الحياة.
- ساطع، محمود (٢٠١٠م)، كاشان در گذار سياحان [= كاشان على طريق الرحّالة]، مقدمة ايرج افشار، طهران، دعوت
- السمعاني، عبد الكريم بن محمّد (١٤٠٨هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان.
- الشهرستاني، السيد على (١٤١٥هـ)، وضوء النبي، قم، ستاره.
- صادقي، مصطفى (١٣٨٦هـ)، كاشان در مسير تشيع [= كاشان على طريق التشيع]، قم، مؤسسة شيعه‌شناسي.
- الصدوق، محمّد بن على (١٣٦٨هـ)، ثواب الاعمال، تحقيق السيد محمّد مهدي الخرسان، قم، الشريف الرضي.
- الصدوق، محمّد بن على (١٤٠٤هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق حسين الأعلمي، بيروت، الاعلمي.
- الطبري، محمّد بن جرير (١٣٨٧هـ)، تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، دار التراث.

- الطوسي، محمّد بن الحسن (١٤١٥هـ)، رجال، تحقيق جواد قيومي الاصفهاني، قم، جماعة المدرسين.
- العُبيدلي النسابة، محمّد بن محمّد (١٤١٣هـ)، تهذيب الأنساب ونهاية الاعقاب، استدراك وتعلىق ابن طباطبا الحسني النسابة، تحقيق محمّد كاظم المحمودي، قم، مكتبة المرعشي النجفي.
- عماد الدين الاصفهاني، محمّد بن محمّد الكاتب (١٣٧٥هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمّد بهجة الاثري وجميل سعد، بغداد، المجمع العلمي العراقي.
- العمري، علي بن محمّد العلوي (١٤٠٩هـ)، المجدي في أنساب الطالبيين، تحقيق أحمد مهدوي الدامغاني، قم، مكتبة المرعشي النجفي.
- غياث الدين جمشيد دليجاني (مخطوطة)، تبويب الأمالي، فهرست مخطوطات مكتبة هلال بن على آران، ص١٠٥، الرقم١٠٤.
- فخار بن معد الموسوي (١٣٨٤هـ)، ايمان أبي طالب، تحقيق السيد محمّد بحر العلوم، بغداد، مكتبة النهضة.
- الفخر الرازي، محمّد بن عمر (١٤٠٩هـ)، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تحقيق الرجائي، قم، مكتبة المرعشي النجفي.
- فرزام، حميد (١٩٩٥م)، تحقيق در احوال ونقد آثار وافكار شاه نعمت الله ولي[= بحث في حياة و نقد أعمال و افكار شاه نعمة الله ولي]، طهران، سروش.
- الفيض القمي، عباس (١٩٦٩م)، گنجينه آثار قم [= مكنز آثار قم]، قم، مهر استوار.
- القزويني الرازي، عبد الجليل (٢٠١٢م)، النقض، تحقيق المحدث الارموي، قم، دار الحديث.
- القمي، حسن بن محمّد (بلا تاريخ نشر)، تاريخ قم، ترجمة حسن بن على القُمّي، تحقيق الطهراني، طهران، مكتبة مجلس الشورى الإسلامي.
- القمي، الشيخ عباس المحدث (٢٠٠٠م)، منتهي الآمال، تحقيق ناصر باقري بيدهندي، قم، دليل ما.
- الكليدار، عبدالجواد آل طعمة(١٤١٨ هـ)، تاريخ كربلاء و حائر الحسين عليه السلام، نجف، المكتبة الحيدرية.
- الكليني، محمّد بن يعقوب (١٩٨٤م)، الكافي، تحقيق الغفاري، طهران، دار الكتب الاسلامية.
- كيائي الگيلاني، أحمد بن محمّد (١٤٠٩هـ)، سراج الأنساب، قم، تحقيق رجائي، مكتبة المرعشي النجفي.

- لسترينج، گاي (١٤١٣ هـ)، بلدان الخلافة الشرقية، تعريب بشير فرنسيس - كوركيس عواد، قم، شريف رضي.
- المجلسي، محمّد باقر (١٤٠٣هـ)، بحار الأنوار، تحقيق مصباح اليزدي والبهبودي، بيروت، دار احياء التراث العربي.
- محسني، على (٢٠٠٧م)، نور باقر عليه السلام، قم، مشهور.
- محقق ورسي، رجب على (١٩٧٩م)، نجف اشرف در ادوار زمان[= نجف اشرف على مَرّ الزمان]، مشهد، انتشارات محب.
- المدني الكاشاني، عبد الرسول (٢٠٠٩م)، حضرت سلطان على، قم، كاشان، مرسل.
- المستوفي، حمد الله بن اتابك (١٩٨٣م)، نزهة القلوب، تحقيق لسترنج، طهران، دنياي كتاب.
- المفيد، محمّد بن محمّد (١٤١٤هـ)، الارشاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، بيروت، دار المفيد.
- منتجب الدين الرازي، على بن بابويه (١٩٨٩م)، فهرست، تحقيق، المحدث الارموي، قم، مكتبة المرعشي النجفي.
- ميرشكرايي، محمد (٢٠٠٦م)، مشهد اردهال((دانشنامه كاشان)) [= موسوعة كاشان]، تحت اشراف حسين محلوجي، طهران، بنياد فرهنگ كاشان.
- ناجي، محمّد حسن عبدالقادر الانصاري (١٣٧٥ هـ)، عمارة وتوسعة المسجد الشريف النبوي عبر التاريخ، مراجعه و تقديم عطيه محمد سالم، المدينه المنوره، نادي المدينه المنوره الادبي.
- النراقي، حسن (١٩٨٦م)، تاريخ اجتماعي كاشان، طهران، علمي وفرهنگي.
- نصر بن مُزاحم المِنقَري (١٤٠٣هـ)، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، قم، مكتبة المرعشي النجفي.
- كاتب مجهول (١٩٧١م)، أخبار الدولة العباسية، تحقيق الدوري والمطلبي، بيروت، دار الطليعة.
- كاتب مجهول (١٣٨٤هـ)، تذكرة سلطان على، تحقيق افشين عاطفي، قم، نسيم حيات.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله (١٣٩٩هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار احياء التراث العربي.
- اليعقوبي، أحمد بن واضح (بلا تاريخ نشر)، تاريخ، بيروت، دار صادر.